إلى الأستاذ البشبيشى

للأب أنستاس مارى الكرملى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

٥ — نعم وكرامة

يا سيدى البشبيشى ، إننا نستشهد دائماً بأقوال الفصحاء حينما نرد على أحد الأدباء . وقد بينا للقراء صحة قول أبناء مصر « حبا وكرامة » أما حضرتك فلم تذكر لنا اسم من قال : « نعم وكرامة » فننتظر استشهادك لنسلم لك بما تقوله ، وإلى أن تفعل ، نقول : إن قولهم : « حبا وكرامة » أصح من قولهم : « نعم وكرامة » لكثرة ورود الأول فى أقوالهم ، وقلة ورود الثانى فيها

٦ — المسكن والمسكن

الذى قلناه فى الرسالة (١٠ : ٧٨٢) : مَسكن . مَسكِن بكسر الكاف هو الأفصح ، ولم نخطئ الأول إذ قلنا الأفصح ، فيذا معناه أن مسكناً بالفتح فصيح لكن الأفصح بالكسر . فى غنية الطالب فى ص ٢٤ من الطبعة الأولى : « وإذا كانت العين مكسورة ، فابقها على كسرتها نحو : مجلِس ، ومضرِب . وشذَّ السجد والمغرب ، والمطلع ، والمجزِر ، والمرفق ، والمفرق و « المسكِن » والمنسك والمنبت ، والمسقط ، فإنها جاءت بكسر العين ، مع أن مضارعها مضموم . و « أجيز » استعمالها على الأصل » اهـ

٧ — الجُرُد أفصح من الجُرَد

نعم ، إن الجُرَد بفتح العين واردة فى كلام « بعضهم » ، لكن أنسير على كلام « بعضهم » ونترك جمهورهم ، أليس اتباع الجماعة أحسن وأسلم لنا من اتباع البعض ؟ قال صاحب التاج فى ترجمة آخر هذه اللفظة : « والأكثرون على الضم »

٨ — رواية الأشعار القديمة

من المشهور عند الأدباء المحققين ، إن رواية الأشعار القديمة ، يجب أن تنقل عن الأقدمين ، لا عن المحدثين ، ولا سيما المتأخرون منهم ، لأنهم عبثوا بكل شىء قديم ، ولهذا يجب أن ننبذ نبذ النواة ، ولو صحت روايتهم ، أو وجهت توجيهاً حسناً ، أو أُوّلت تأويلاً بديعاً ، بل أبدع من رواية الأقدمين . والذى رويناه نحن نقلناه عن أصح كتاب رويت فيه أبيات أعشى باهلة ، أى عن الديوان المروى عن أبى العباس ثعلب وشرحه له ، (المطبوع فى مطبعة) دلف هلزهوسن فى بيانة سنة ١٩٢٧

وقد رهن أبناء الشريف على بسالة فيهم أظهرها القتال والصراع ، وعززها الجلد فى النضال والكفاح . ولم يمر شهر على حصار قلعة « أجياد » التى كانت تصب نارها على مكة ، وخصوصاً على قصر الأمارة فيها ، والشريف حسين فى غرفته الخاصة فى ذلك القصر يدير الحركة ولا يبالى بشظايا القنابل التى كانت تحرق السقوف والجدران ؛ فلم يمر شهر كما قلنا حتى كلل الحصار بالنصر ؛ فسلمت اجياد فى ٤ رمضان ثم استولى الأمير عبد الله على الطائف فى ٢٦ ذى الحجة من تلك السنة

وفى ٢ محرم عام ١٣٣٥ الموافق يوم ١٦ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩١٦ بويع الشريف حسين بالملك . وفى الشهر التالى اعترفت به دول الحلفاء الكبرى أى بريطانيا وفرنسا ملكا على الحجاز ، وجاء الأسطولان الإنجليزى والفرنسى إلى جدة يحملان إلى جلالة الملك تهانى تلك الدول ، فخطب فى حضرته أميرال الأسطول الفرنسى ودعاه بأعظم أمراء العرب

ونختم حديثنا اليوم بكتاب صغير وجّهه إلى الشريف « حسين » خلف السر (أرثور مكماهون) فى مصر المندوب السامى السر (ردجنلد ونجت) مؤرخ فى ١٩ إبريل (نيسان عام ١٩٢٧ و٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٣٥ وفيه ما يلى :

« فأؤمل ألا يبرح من بال جلالتكم أن الحكومة البريطانية هى التى تحترم المعاهدات ، وهى حامية زمام الحق والعدل ، والحليفة الوفية التى لا تخون العهود »

(دمشق) نسيب سعيد المحامى

بعناية رودلف جير Rudolf Geyr ص ٢٦٦ وما يليها

وأما رواية الشيخ حمزة فتح الله فليست بشيء بالنسبة إلى قدم ثعلب وقد توفى سنة ٢٩٧ للهجرة ، وأما الشيخ حمزة ففى سنة ١٣٣٦ . فأين الثرى من الثريا ؟ وقد قيل فى ثعلب إنه « كان راوية للشعر ، مشهوراً بالحفظ ، وصدق اللهجة ، ثقةً حجة » .

وأما الشيخ حمزة — رحمه الله — فما كان يعرف أن يوقع اسمه حينما كان مفتشاً بوزارة المعارف المصرية فقد كان يكتب « حمزة فتح الله مفتش أول اللغة العربية بنظارة المعارف العمومية » فكأن للعربية أولاً وآخراً ، وكان هو مفتش أول اللغة تاركا لغيره أن يكون مفتشاً لآخرها !

فإذا كان الشيخ حمزة فتح الله لا يحسن النطق بثلاث كلمات صغار فكيف نعتمد عليه وعلى روايته للشعر القديم ؟ — فأين الطمطمانية من العربية البينة ؟ وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟

فانصفنا يا سيدى البشبيشى ، ولا تحد عن الصراط المستقيم ، ذباً عن الصديق الحميم

٩ — جمع أفعل وفعلاء على فعل

ليس لنا رأى خاص فى جمع أفعل فعلاء على فُعْل ، وإنما نحن تابعون لرأى الفصحاء الصميم من الأئمة الأعلام . فقد قال سيبويه فى كتابه (٢ : ٢١١ من طبعة بولاق) : « وأما أفعل ، إذا كان صفة فإنه يكسر على فُعل ، كما كسروا فعولاً على فُعل ، لأن أفعل من الثلاثة وفيه زائدة ، كما أن فى فعول زيادة ، وعدة حروفه كعدة حروف فعول ، إلا أنهم لا يثقلون فى أفعل فى الجمع العين ، إلا أن يضطر شاعر ، وذلك : أحمر وحمر ، وأخضر وخضر ، وأبيض وبيض ، وأسود وسود ؛ وهو مما يكسر على فُعْلان . وذلك كحمران ، وسودان ، وبيضان ، وشطان ، وأدمان

« والمؤنث من هذا يجمع على فُعل . وذلك : حمراء وحُمر ، وصفراء وصفر . وأما الأصغر والأكبر فإنه يكسر على أفاعل . ألا ترى أنك لا تصف به كما تصف بأحمر ونحوه . لا تقول رجل أصغر ولا رجل أكبر . سمعنا العرب تقول الأصاغر كما تقول : القشاعمة والصيارفة حيث خرج على هذا المثال . فلما لم يتمكن هذا فى الصفة كتمكن أحمر ، أجرى مجرى أجدل وأفكل ، كما قالوا : الأباطح والأساود ، حيث استعمل استعمال الأسماء . وإن شئت قلت : الأصغرون والأكبرون . فاجتمع الواو والنون والتكسير ههنا ، كما اجتمع هنا الفعل والفعلان . وقالوا الآخرون ولم يقولوا غيره كراهية أن يلتبس بجماع آخر ؛ ولأنه خالف إخوانه فى الصفة فلم يتمكن تمكنها ؛ كما لم يصرف فى النكرة . ونظير الأصغرين قوله تعالى : بالأخسرين أعمالاً » اهـ

وفى مختار الصحاح : « الأسود : العظيم من الحيات ، وفيه سواد والجمع الأساود ، لأنه اسم ، ولو كان صفة لجمع على فُعُل » اهـ

وفى لسان العرب فى مادة (ج ح م) : « الأجحم : الشديد حمرة العينين مع سعتهما . والأنثى جحماء ، من نسوة جحم وجحمى » . قلنا : وهو الصواب بخلاف ما جاء فى القاموس ، إذ قال : الأجحم . . . وهى جحماء والجمع جُحم ككتب وسكرى » اهـ

وكلام أئمة البصريين والكوفيين من صرفيين ونحاة ولغويين مبنى كله على الآيات القرآنية . ففى سورة الملائكة ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » . ولم يقل بيضاء ولا حمراء ولا سوداء

وفى سورة الإنسان : « عالبهم ثياب سندس خضر »

وفى سورة يوسف : « وسبع سنبلات خضر »

وفى سورة الرحمن : « متكئين على رفرف خضر وعبقرىّ حسان »

وفى سورة الكهف : « ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق » . ولم يقل مرة واحدة خضراء

والآيات كثيرة ولم ترد فعلاء مرة واحدة صفة لجمع ، أيًّا كان

وأما ما قاله سيدى وأستاذى البشبيشى : « نستطيع أن نحكم بجواز استعمال الوصف بهما مفرداً قياساً على قولهم : إن الجمع بمعنى الجماعة ، فيجوز وصفه بالمفرد : ولذلك شواهد لا تحصى... » ومن هذه الشواهد التى لا تحصى كنا نود أن نرى واحداً ،

لنرى أهى من باب أفعل فعلاء ، أم من غيره — ثم إن هذا الباب الذى يذكره يسمى باب التخريج ، وهو باب واسع يلجه الحيوان الأكبر والأصغر من الهوام والحشرات وأنواع العجماوات . أما الحيوان فيعدل عنه ولا يلجه ، نظراً إلى شرفه وإجلالاً لقدره ، وإعزازاً لشرفه وحبه ، وخشية أن يقال عنه : « ولج العاقل باباً لا يلجه إلا الحيوان الأعجم » أعاذنا الله من أن نكون منه !

١٠ — الأربعة الاستقصات لا الاربع

فى جميع ما نكتب نتوخى الفصيح والأفصح من كلام السلف الصالح بقدر الطاقة . وأفصح كلام العرب يرى فى الآيات القرآنية . وقد جاء فى سورة النساء : « ولا تقولوا ثلثة » أى ثلاثة آلهة . ولم يقل ثلاثاً

وفى سورة الطلاق : « فعدتهن ثلاثة أشهر

وفى سورة الكهف : « سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم » إلى غيرها من الآيات وهى كثيرة لا حاجة لنا إلى ذكرها كلها فاجتزأنا ما ذكر منها

وجميع ما ورد فى تلك الآيات ، مختوم بخاتم الإحكام المتقن ، ومطبوع بطابع الصحة المنيعة ، وفيه أقصى التحقيق والتدقيق إذ « لا ترى بينها عوجاً ولا أمتا » ، ولا يهمنا بعد الكلام خرفشة النحاة ولا حذلقة الصرفيين ، إذ يسمع لها جمجمة ولا طحن !

فالاستقص (بصاد مشددة فى الآخر) والاصطقس بصاد وطاء وقاف وسين ، مذكرة ، ولا يقول الفصحاء والحذاق والبصراء من السلف إلا الاستقصات الأربعة لا الأربع . ونحن نتبع الآيات المحكمات وكتاب سيبويه وجماعة علماء البصرة والكوفة ، وليتبع غيرنا ما شاء من المجوزين ، والمخرجين ، والمفسرين . وعلمه فوق كل ذى علم

١١ — الخلاصة

إننا نتبع الفصيح من كلام الناطقين بالضاد ، ونترك الغير يتبع ما شاء من لغات العرب ولغياتهم ، أولئك الذين جاوروا الأعاجم فركت عبارتهم ، وفسدت تراكيبهم وغمضت ألفاظهم وغلظت كلمتهم ، فوقعوا فى أوهام لا تعد

وهذا آخر ما نكتب فى هذا الموضوع وقد أوصدنا بابه علينا ، فلا نريد سماع ما يخالف أحكام اللغة المتينة ولا قواعدها المبينة ، وإن فاض التنور وقامت القيامة ، وكان اليوم الأخير .

الاب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية